

طريقة تحليل المضمون:

المضمون content مكن الشيء ومركز اختفائه، وهو الذي يكمن في الكلمة والفكرة والجملة التي ينقلها المحتوى، وفي تكراراتها يتأكد سلباً أو إيجاباً، والمضمون الذي يحمله النص كمحتوى هو ما يدور عليه الحديث أو الكلام أو ما يُعبر عنه في الخطاب. ولهذا يحمل الكتاب مضمونه في عنوانه، ويحمل الكتاب ما يحتويه في صفحاته، فالمضمون لا يشاهد ولكن يدرك إدراكاً من المشهد والصورة والارتسام والحركة والمعنى والفعل السلوك. ولذا يكمن المضمون في الكلمة والفكرة والموضوع كما يكمن الزيت في حبة الزيتون ويكمن الكائن الحي في الخلية، ويكمن الزيت في اللبن.

ولتحديد المضمون دلالة ومعنى ينبغي تحديد المحتوى حيث هناك من البعض من يظن بأن المضمون هو المحتوى، ولذا نقول:

المضمون شيئاً والمحتوى شيئاً آخر، فالمضمون كما سبق تحديده، هو الذي يتوحد في الكلمة والجملة الناقلة له مع الفكرة والمحتوى في وقت واحد مثل توحده في رسالة رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام إلى هرقل ملك الروم (اسلم تسلم) هذه الرسالة محتوى متكون من كلمتين، وفي الكلمتين يكمن المضمون، وفيهما تُحمل الفكرة وتتجلى، ولكن ليس دائماً يحدث مثل هذا الأمر بل في معظمه قد ينشتر المحتوى في خطابه أو نصه الذي فيه يكمن المضمون كما يكمن الزيت في اللبن. فالمضمون يدرك ويستنبط ويستقرأ استقراءً حتى يُشكل عليه معرفة. أمّا المحتوى غير ذلك.

فالمحتوى: content: هو ما يشمل عليه النص أو الخطاب أو الكتاب أو الموضوع، فالمحتوى الكتاب من الغلاف إلى الغلاف، ومحتوى الخطاب أو النص

من أول كلمة قُليت أو كُتبت إلى آخر كلمة قُليت أو كُتبت، مما يجعل تحليل المحتوى يتركز على التكرارات اللفظية للكلمة أو الجملة أو الفكرة أو الموضوع. والمحتوى غير المضمون فالمضمون هو ما يتركز عليه المحتوى من فكرة عامة أو أفكار متجزئة، والمحتوى هو ما يمتد بالكلمة من خطاب أو نص حتى يشاهد ويُلاحظ، ولذا فالمحتوى بلا مضمون كالحديث بدون معنى والتظهير بدون دلالة. وعليه: يتكون مصطلح تحليل المضمون من جزأين: الأول هو التحليل، والثاني هو المضمون، وكلمة تحليل تعني تفحص عن وعيا وانتباه يُميز بين الدقيق والأق من، والمضمون هو المكنن الدلالي الذي تتركز عليه الفكرة أو القيمة أو النص والخطاب وما يحمله من معنى للمفاهيم التي يتم عرضها أو قولها أو كتابتها، ولذلك فالتحليل العلمي عندما يستهدف الدلالة على وحدة الموضوع، وبؤرة اهتمامه يكون منصبا على المضمون، ويتم التعرف على المضامين من خلال التعرف على محيطها الذي استوعبها، ومن خلال الإطار العام الذي يحتويها، والذي يميزها عن غيرها من المواضيع، وتعتبر المواضيع ذات أهمية إذا كانت لها مضامين، ويعتبر المضمون هو لب المحتوى، وبؤرة اهتمامه، وعلة وجوده؛ ولهذا ينبغي أن يحلل المضمون في إطار محتواه.

في بعض الأحيان يعتمد تحليل المضمون على المعلومات الجاهزة، كالوثائق، والمطبوعات، والخطب، والأحاديث، وفي البعض الآخر يتجاوز ذلك لدراسة الشخصية التي تُمكنه من ربط الظاهر بالباطن (القول بالفعل أو بالسلوك والعمل) وكذلك ليربط الثابت بالمتحرك، وهذا الأسلوب هو الذي يجعله طريقة إنتاجية، تكتشف الجديد وتعمل على تطويره، لأن اقتصار البعض له على تحليل المعلومات الجاهزة، دون متابعتها وربطها بالفعل والسلوك، هو الذي يجعل طريقة تحليل المضمون طريقة استهلاكية.

طريقة تحليل المضمون لا تسلم بالمعلومة هكذا وكأنها مطلقة بل تخضعها للاختبار والقياس والتجريب من أجل التأكد من أنها على الصواب أم أنها على غير ذلك، ولذلك فإن اختبار المضمون يتعلق بربط المشاهد بالمجرد (ربط الفعل بالمضمون) لكي يتم الوقوف عند المصادق والحجج المثبتة نظرية أم قانونا، لأن القول الذي يحمل المضمون فيما يقال قد لا يكون له مصادق، وبالتالي يكون في حالة الشك الفاقد إلى البراهين التي تجعله يقين بالإثبات.

إن الاعتماد على المضمون المكتوب أو المنطوق قد يؤدي إلى نتائج كاذبة، وذلك لتناوله قضايا كاذبة، فالكاتب على سبيل المثال عندما يكتب أو يتحدث عن الإنسان بقوله انه لا يحمل في قلبه إلا حبيبا واحدا، ثم نلاحظ أن هذا الكاتب له أكثر من حبيب، فماذا يعني قوله السابق؟ إنه يعني تناقض بين المضمون الذي احتواه النص، وبين الفعل، ولكن كيف نعرف ذلك؟ نعرفه بمقارنة القول مع الفعل والسلوك.

وإذا سأل أحد:

أيهما أفضل، القول الذي يؤكد على حبيب واحد؟ أم الفعل الذي يخالف ذلك؟ بدون شك الفعل الذي يخالف ذلك أفضل لأن قلب الإنسان لا يمكن أن يقصر على حبيب واحد، فهو يحب الله، ويحب الأب والأم، والأخت والأخ، والزوجة والأبناء، والأقارب والجيران، والأمة والبلد اللذان ينتمي إليهما، والأصدقاء الذين تربطه بهم مودة، والدين الذي أختاره للعبادة، وإلى الأكثر من ذلك إذا عددنا، ولكن للحب درجات ولا يلتقيان اثنان في درجة واحدة مهما قريا، فمكانة الله في القلب بالنسبة للمسلم لا يزاحمه فيها أحد على الإطلاق، وهكذا مكانة الوطن، ومكانة الأب والأم، والابن والأخ والزوجة وإلى النهاية، لا يمكن أن يزاحم أحد آخر، وبناء على ذلك يعتبر مضمون النص لا مصادق له، وللفعل مصادق.

ينبغي على الباحث أثناء إقدامه على تحليل المضمون أن يحدد وحدة اهتمامه، الفرد، أو الاثنين، أو الجماعة، أو المجتمع المستهدف بتحليل المضمون، وحسب موضوع البحث أو الدراسة، وقد تكون وحدة الاهتمام جريدة أو مجلة، أو وثيقة، أو كتاب، وقد تكون حديث أو خطاب، أو مذكرات خاصة، أو عامة، ولهذا يتعلق التحليل بمضمون المصادر الجاهزة ذات الصلة بموضوع البحث والدراسة، من خلال تتبع عناصر كل منهما، ومقارنتها بأثر المتغيرات من وقت إلى آخر، ومن مكان إلى آخر مع تحديد المبادئ، والأهداف، والصفات، والخصائص، والاتجاهات التي تأثرت أو تغيرت، أو أنها في طريقها إلى ذلك.

إن التكرار الكمي، والكيفي للكلمة، والفكرة، والجملة في الخطاب الشفوي، أو النص المكتوب، قد يعطى دلالة للموضوع بتأثير سالب، أو موجب، مما يجعل الباحث منتبها إلى ذلك أثناء تجميع المعلومات وتحليلها وتفسيرها، وأن يكون منتبها إلى التكرار الكمي للكلمة، أو العبارة، أو الجملة. ولذلك قد يعتمد الكاتب أو الخطيب على سبيل المثال التكرار، من أجل تثبيت المستهدف من الموضوع، مما يجعل للنهكم والسخرية أحيانا أهمية واعتبار عند تسفيه بعض المواقف أو الأفراد أو التقليل من أهمية الموضوع. ولذا عندما يكون التكرار بلا أهداف، يكون تكرارا بلا معنى (كم ليس إلا)، وتضييع للوقت والجهد، أما إذا كان من ورائه حكمة وهنّف، فيكون له معنى وأهمية.

إذا متى ينبغي أن تتكرر الكلمة، أو الجملة، أو الفكرة في النص أو الخطاب أو الموضوع؟

تتكرر عندما يكون لها مضمون وقصد (عندما يكون لكم كيف).

إذا هل التكرار ككم يعبر عن مصادق؟

ليس بالضرورة، لأن القول غير الفعل والكم غير الكيف، ولهذا لا هوية لكم إلا بالكيف. وعندما يكون للكيف هيئات وأشكال، يتعدد، وعندما يتعدد يكون كما،

وعليه لكل كم كيف، ولكل محتوى مضمون، ومضمون الكم محمولاً في كيف كما تحمل المعاني في الأرقام، وعليه إذا عرفنا على سبيل المثال الأرقام 1، 2، 3، 4، وإلى النهاية من الكميات ، فهل معنى ذلك أننا عرفنا مضامينها؟ كل الأعداد والأرقام مجردة ، ولا تعطى معنى وافٍ لها، إلا إذا عرفنا الكيفيان التي هي عليها من خلال معرفتنا لصفاتهما، وخصائصهما، فالأرقام 1، 2، 3، 4، على ماذا تكل؟

. هل تكل على أوزان؟

. هل تكل على درجات حرارة.

. هل تكل على الإنسان؟

. هل تكل على الحيوان؟ أم على ماذا؟

فإذا افترضنا أنها تكل على الإنسان، فهل الإنسان متعدد ليكون 1، 2، 3، 4؟ أم أنه إنسان واحد لا يتعدد؟

في اعتقادنا الإنسان واحد، لا يتعدد، ولكن البشر هم الذين يتعددون، ويختلفون، لأن الإنسان يعبر عن مضمون واحد (بتوحد الإنسانية فيه)، إذن من خلال تحليل المضمون يمكن أن ينتقل الباحث إلى المتعدد منه، أو المتجزئ منه، أو المحتوى له، فعندما نحدد إنساناً واحد ونقول أنه أمة كما قال الله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا} ¹⁵ إن ذلك يعني أن أخلاقيات الأمة، واعتباراتها التي تحثوبها مجتمعة قد توحدت في إبراهيم عليه الصلاة والسلام، مما جعل مضمون الأمة الذي هو مضمون لمجموعة من البشر الذين تربطهم رابطة الأصل والانتماء، مساوياً للمضمون الذي كان عليه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وفي هذه الحالة فإن إبراهيم لوحده كان أمة.

وعليه عند تحليل المضمون يجب مراعاة الآتي:

1 . الكلمة.

2 . الموضوع.

3 . الخصائص.

4 . واصفات.

5 . والظرف الزماني والمكاني للمعلومة.

6 . الصلاحيات.

7 . الاختصاصات.

إن غياب المصادر المباشرة، كالأفراد، والجماعات والأقوام (كقوم عاد وثمود)، وغياب بعض المفكرين، والفلاسفة والمجاهدين الأبطال الذين توفاهم الأجل، أو استشهدوا وتركوا لنا تاريخاً، وفكراً، وعلومًا موثقةً، وفي متناول أيدينا، يحثُّر غيابهم حاضر من خلال ما تركوه لنا من آثار علمية تتطلب من الباحث سبر أغوارها، وتحليل مضامينها، لأخذ العبر منها، وتجنب ما وقع فيه البعض منهم من انحراف أدى بهم إلى الهاوية، وهناك من ترك لنا آثاراً مكتوبةً، أو مسموعةً ومرئيةً بوسائل الإعلام الحديثة، كالقادة والمفكرين الذين لازالوا على قيد الحياة، وقد لا يتمكن الباحث من مقابلتهم لبعـد المسافة أو لصعوبة الاتصال بهم، مما يجعله يولي اهتماماً بتحليل ما قالوه، أو يكتبوه عبر الزمن، وذلك بهدف لدراسة شخصياتهم، أو لمعرفة اتجاهاتهم وما حدث عليها من تغير، أو لمعرفة العوامل التي أثرت في حياتهم واتجاهاتهم وأفكارهم سلبياً أو إيجابياً.

ويكون لطريقة تحليل المضمون أهمية أكبر عندما تُسـنـح الفرصة للباحث بأن يطّلع على المضمون ويشاهد صاحبه، لكي يتمكن من ملاحظة ردود أفعاله، وإجراء مقابلة معه للاستيضاح عن بعض الاستفسارات التي يرى الباحث أهمية الإجابة عليها في إثراء الموضوع.

وتعتبر وسيلة الملاحظة هامة جداً في تحليل المضمون، من حيث:

1 . تجميع المعلومات.

2 . تحليل المعلومات.

3 . تشخيص الشخصية والحالة التي هي عليها.

4 . استخلاص النتائج.

فقد يشاهد الباحث الأشخاص والصور والأشكال، ولكنه لا يشاهد معاني الكلمات والجمل، ولا يميز بالمشاهدة بين أسلوب الجد وأسلوب الهزل الذي قد يصاغ الخطاب أو النص به مما يجعل للملاحظة أهمية في التمييز بين ذلك ويمكن الباحث من التعرف بواعي.

فعند مشاهدة الباحث للقاء أو الرئيس وهو يلقي خطاباً عن موضوع بحثه الذي يتابعه، وليكن: (دراسة اتجاهات الخطيب الوحوية) فالباحث من خلال مشاهدته للخطيب وهو يلقي خطابه يستطيع ملاحظة تفاعلاته ودرجة تحمسه، وردود أفعاله من نوى الاتجاهات الانفصالية، ولهذا يمكن من استقراء اثر الكلمة، أو الفكرة على الموضوع قيد المشاهدة والملاحظة، وينبغي ألا يكون الخطاب نقطة النهاية، بل يجب على الباحث أن يتابع موضوعه من حيث التعرف على ما تم تجاهه من إجراءات عملية، لتنفيذ ما ورد في الخطاب (موضوع البحث والدراسة) كإصدار اللوائح والقوانين والاتصالات مع الأطراف ذوي العلاقة لتحريضهم على الوحدة، ودفعهم إلى توقيع الوثائق التاريخية، وإلا لن يكون لمضمون الخطاب مصادق، وبل يصبح عبارة عن حبر على ورق أو كلمات في أشرطة التسجيل قد تساعد الخطيب على امتصاص غضب الناس من النظام الذي يرأسه.

تحليل المضمون طريقة ونحن نتفق مع التعريف الذي صاغه الدكتور سمير نعيم بقوله: تحليل المضمون هو إحدى طرق البحث التي تستخدم من أجل الوصول إلى وصف منظم موضوعي وكمي لمختلف تسجيلات التعبير الرمزي¹⁶.

الوسائل العلمية لتحليل المضمون:

- 1 . التصنيف القيمي.
- 2 . المشاهدة.
- 3 . الملاحظة.
- 4 . المقابلة.
- 5 . الاستبيان.

أسس تحليل المضمون:

- 1 . محتوى:

المحتوى هو الذي يحمل المضمون في نصه، ولذا فالمحتوى عام، وهو ما كتب، أو قيل، أو سجل على وسائل تحفظه، ويمكن الرجوع لها عند الحاجة، من أجل التعرف على ما تحتويه من مضامين، ولذلك يتم التعرف على المضمون بالإطلاع على المحتوى، والمحتوى هو الإطار العام الذي يستوعب بؤرة الاهتمام وهوامشه، والمضمون هو اللب الرئيس الذي يبنى عليه النص.

- 2 . محلل:

المحلل هو الباحث المولي اهتماما بالموضوع قيد البحث والدراسة، والمستخدم لوسيلة الملاحظة بانتباه أثناء تحليل المضمون، أو أثناء اطلاعه على استمارة تصنيف قيمي، أو استمارة مقابلة، أو استمارة استبيان تحتوي على معلومات ذات دلالة علمية من تستوجب التحليل.

وتُعتبر استمارة التصنيف القيمي من أهم الأدوات المستخدمة في تحليل المضمون ثم وسيلة الملاحظة، وللمقابلة أهمية كبرى في استخدامات هذه الطريقة لأجل التحقق من المعلومات الجاهزة.

وعليه لم يكن تحليل المضمون وسيلة كما حدده البعض ولم يكن خطوة علمية مجهولة كما اعتقد البعض الآخر، بل إنه طريقة علمية بؤرة اهتمامها التقصي الدقيق للمعلومات من المصادر الآتية:

1 . المصادر البشرية: وهم شهود العيان، والمعاصرين، والمشاركين في الموضوع قيد البحث والدراسة.

2 . المصادر المشاهدة وملاحظة: وهي الآثار، والتحف، والرسومات كشواهد مادية يمكن مشاهدتها وملاحظتها.

3 . مصادر مكتوبة، وتنقسم إلى الآتي:

أ . المخطوطات: بعد مراجعتها وإخضاعها للنقد الداخلي من خلال ما تتضمنه من نصوص ولغة وأسلوب، وشواهد وبراهين، ثم إخضاعها للنقد الخارجي من حيث الزمن الذي كتبت فيه، والزمن الذي تتحدث عنه، وعلاقاتها بما كتب في مجال نصوصها، ومضامينها.

ب . الوثائق الرسمية: من مقالات، وأفكار، وأشعار، وسجلات، وتقارير، وصحف معتمدة، وكذلك المذكرات والمراسلات الرسمية، والمذكرات الخاصة إن وجدت، وهذه المذكرات الخاصة تُعتبر على درجة عالية من الأهمية خاصة إذا كان صاحب الحالة المدروسة من الذين يعانون من أمراض نفسية، واجتماعية.

3 . المحلل من أجله: وهو المستهدف بالبحث والدراسة، فإذا اعتبرنا أن المحتوى هو الموضوع من خلال نصوصه العامة، وأن المحلل للموضوع هو الباحث، فيكون المحلل من أجله الموضوع هو المبحوث فردا أم جماعة أم مجتمعا، مما يجعل للموضوع مصادر مباشرة أو غير مباشرة يستوجب الاتصال بها للتعرف على الحل

والأسباب التي يحتويها الموضوع، وفق أهداف واضحة. ولكي يستوفي الموضوع بالدراسة والبحث العلمي، ينبغي على الباحث مشاركة المبحوث في تشخيص الحالة وما يتم التعرف عليه من معالجات وأن لا ينوب الباحث عن المبحوث في ذلك، لأن الموضوع يتعلق بالدرجة الأولى بالمحل من أجله (هو المبحوث) .
ولتوضيح ذلك اطلل التعليم كموضوع يستوجب اشتراك العناصر البشرية ذات العلاقة به من حيث فلسفته وأهدافه ومهامه.

التعليم: إن التعليم المنهجي المنظم، والمقررات المفروضة على الدارسين قد تؤدي إلى قومية الفكر الإنساني، وتكون قابعة لرغباته، لذا فالإجبار على تعلمها لا يمكن المتعلم من بناء مستقبله، لأنها تستهدف تعليم رؤية معينة، أو اتجاهات محددة مع طبيعة القضايا المقررة على الدارسين، مما يجعل من المعلم طرفا ومن المتعلم طرفا آخر على النحو الآتي:

من المعلم طرفا موجبا ، ومن المتعلم طرفا سالبا.

ومن المعلم طرفا ملقنا ، ومن المتعلم طرفا ملقنا.

ومن المعلم طرفا متحدثا ، ومن المتعلم طرفا مستمعا.

ومن المعلم طرفا مرسلا ، ومن المتعلم طرفا مستقبلا.

ومن المعلم شرطيا أثناء إجراء الامتحانات ، ومن المتعلم لصا مطارد.

إن هذه المنهجية القوية لا يمكن أن تتجنب المبدعين، ولا تعلم علوم الصحة والتنوير (علوم الاختراع المنتج) بل أنها تعلم الأمية، وتسهم في تخريج اللصوص والخشاشين، إن مثل هذه الطريقة التعليمية عن طريق الجلوس على الكراسي المصفوفة هي بحق تعتبر في العصر الحديث طريقة تعليم الأمية عن عمد وقصد.
إن الأمية التي كانت الشعوب تعلم أبنائها خوفا منها أصبحت اليوم تعلمها لأبنائها عن طريق مقررات وأساليب التلقين التي لا تخرج إلا البيخاوات. وإن علوم اليوم والغد يجب أن تكون هي علوم تحرير المتعلمين من القيود وهي علوم إشباع

الحاجة التي تتطلب الإبداع والإنتاج وتبنى الشخصية الواعية، وهذه العملية لا تتحقق من قبل معلم واحد أو مدرس واحد، بل أنها تتطلب أكثر من معلم لكي تكتمل وتستوعب من قبل المتعلم، وأن تكون المعلومات قابلة للتطبيق والتجريب والاختبار والقياس بكل معيارية وموضوعية، وأن يُسمح للمتعلم أن يشارك في التطبيق والتجريب، ويُفضل أن يكون تعلمه في الميدان لا في الفصول التي تعزله عن أداء هذه المهمة العلمية في أماكنها المناسبة.

إن العلوم الاجتماعية والإنسانية التي توصف من قبل البعض بالنظرية هذه هي علوم تعليم الأمية، وكذلك علوم المختبرات التي لا تمكن المتعلم من الانتقال إلى الميدان هي الأخرى علوم تعليم الأمية. فحبوب التربة أو ميزها التي تضر أو تفيد الزراعة والإنتاج الزراعي للبلد لا ينبغي أن تقتصر دراستها في المختبرات ليتعلم الطلبة عليها، بل ينبغي أن يخرج الطلبة من الفصول والكراسي إلى الميدان المراد دراسته وإجراء التجارب عليه، حتى لا يقتصر تعليمهم على العينات الترابية التي قد لا تكون ذات علاقة بالبيئة التي هم من أجلها يتعلمون ويتخصصون.

ولذلك لو كانت دراسة المشاكل الاجتماعية في الفصول تفيد المتعلمين لفضوا على كل المشاكل التي تواجه مجتمعاتهم، ولكن الذي يحدث هو تضاعف هذه المشاكل والظواهر وازدادت تعقداً، وإذا كان الأمر كذلك، إذاً ماذا يتعلم الطلبة ليفيدوا به مجتمعاتهم سياسياً واقتصادياً واجتماعياً؟

في اعتقادي لم يتعلموا إلا الأمية.

ولكي لا تفرض مثل هذه المقررات على المتعلمين ينبغي أن يتم تغيير الأساليب المنهجية للعملية التعليمية، المتعلقة بالمعلم والمتعلم والمعارف المفروضة، أي أن نترك حرية الاختيار أمام المتعلم، وأن تكون أساليب التعليم قائمة على الجدل والحوار والنقد، والشك من أجل اليقين، والتجريب، وليست مسلمات قائمة على التلقين. أنه التعلم الذي تكون أطرافه موجبة، عندما تستوعب جسارة المعلم،

والمُتعلّم الإبداعية، دون تحديد مواقف مسبقة منها، ولذا فإن إعطاء المعلم للمُتعلّمين ما قاله ديكارت في الشك أثناء إلقاءه المحاضرات التعليمية، ثم مطالبهم بإعادته إليه إجابات أثناء الامتحان، هل هذه الطريقة تضيف الجديد للمُتعلّمين أي هل هذه الطريقة تُسهم في خلق المفكرين والمبدعين؟ أي تعليم لم يخضع للتحليل والنقد والتفسير لن يضيف الجديد، أنه مجرد تكرار روئيني يطفئ روح التألق والإبداع، وهو عبارة عن عنونة من خلالها نقلت النص عن ديكارت للمعلم، ثم يأتي المعلم للفصل ليقول للطلبة ما قاله ديكارت، وبعد ذلك يعود إليهم في الامتحان ليسألهم عما قال ديكارت، فيقول له الطلبة على مضض ما قاله ديكارت مع الفاقد منه.

التعليم يجب أن يكون تشخيصيا وأن يبدأ مع المُتعلّمين من حيث هم، ليرشدهم إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه، أي في المجتمعات الفقيرة ينبغي أن يبدأ المعلم مع المُتعلّمين في البلدان الفقيرة من حيث فقرهم وظروفهم لينقل بهم إلى ما يجب أن يكونوا عليه، ومثال على ذلك التعليم في موريتانيا، أو مالي أو الصومال عندما يكون في محتوياته الحديث عن أهمية القصور الفاخرة، وأهمية ارتداء الملابس الحريرية، والحلي الثمينة والبرجوازية العظيمة، بعد أضحوكة لأن المواطن في حاجة لتعليم يحلل واقعه، وظروفه المعوزة، لأجل أن يؤهله ويحفّزه على الإنتاج والمثابرة التي تُمكنه من أن يطوي صفحات الفقر، والجهل والمرض، ويتحرر من قيودها، ليسهم في تغيير واقعه، ولذا فالفقر لا يكن عيبا، بل العيب عدم الاعتراف به، وعدم العمل على التخلص منه إلى غير رجعة. وعليه، يكون لتعليم السياسة، والاقتصاد والآداب، والفنون، والرياضة، والطب والعلوم المتنوعة والمتعددة معنى ومضمون عندما تسعى جادة في تحليل وتشخيص الواقع، وتعمل على تغييره إلى الأفضل.

ويتم تحليل المضمون وفق المعطيات الأساسية التي تكون وحدة الموضوع، وتبرز أصوله، وتظهر فلسفته، ويتم تفسيره وفق النتائج والأحكام والقوانين المتوصل إليها، وكما يرتبط التحليل بالمضمون، يرتبط التفسير بالتحليل.

ولتوضيح ذلك اعرض التحليل الآتي:

في حالة الاستماع لخطاب أو نص أو في حالة قراءة موضوع، وليكن هذا الخطاب، أو النص، أو الموضوع مستندا على فلسفة إسلامية، بتأكيد على أهمية الكتاب كمصدر للتشريع الإسلامي، فإذا تضمن الموضوع وتحليله النتائج الآتية:

1. إن القرآن هو مصدر التشريع.
- يكون التفسير لأن الكاتب، أو المشرع، أو الخطيب مسلم.
2. التأكيد والتأكيد على تحريم الخمر.
- يكون التفسير لأن القائد، أو المسؤول، لم يكن من متعاطي الخمر، إلى جانب كونه مسلم.
3. إن النصوص، والقوانين الصادرة، والخطب تُحرّض على قيام الوحدة بين أبناء الأمة الواحدة.

تفسر لأن المسؤول أو المشرع وحدوي.

خطوات طريقة تحليل المضمون:

1. تحديد مشكلة البحث أو موضوعه.
- 2 - تحديد أهداف البحث.
3. تحديد وحدة الاهتمام.
- 4 - تحديد فروض البحث أو تساؤلاته.
5. تحديد مصطلحات البحث.
6. استطلاع الدراسات السابقة.
- 7 - جمع المعلومات والبيانات.

8 - تحليل المعلومات.

9 - استخلاص النتائج أو الاستنتاجات وعرضها.

10 . تفسير النتائج.

11 . التوصيات أو المقترحات.

12 - كتابة التقرير .

أهداف استخدام طريقة تحليل المضمون:

من أهداف طريقة تحليل المضمون في العلوم الاجتماعية والإنسانية معرفة الجوهر الخاص والعام في الدراسات الفردية، والجماعية، والمجتمعية، ومع أن الجوهر لا يخضع للمشاهدة نظرا لكمونه، إلا أنه في دائرة الممكن يُشكل عليه بما يلاحظ في القول والفعل والعمل والسلوك.

ولهذا أتساءل:

هل يحق لنا أن نحكم على كل ما نشاهده من سلوك أنه خير معبر عن حقيقة الجوهر؟

إذا كانت الإجابة بنعم.

فإننا اعترفنا بوجود تطابق بين الصورة والجوهر، وإذا كان كذلك فإن السلوك الظاهر في هذه الحالة وكأنه الجوهر، مع العلم أن الجوهر لا مادة فيه فهو مجموع تلك المكونات من المشاعر، والعواطف، والأحاسيس والحق، والعدل وغيرها، مما يجعلنا نستنتج أنه لم يكن من الأمر الهين أن يتطابق السلوك مع الجوهر، وإن تطابقا كان السلوك أو الفعل والعمل على درجات الصدق العالية، وإن لم يتطابقا فالحقيقة دائما كامنة في الباطن لتستدعي باحثا ماهرا لينقب عنها بفن ومهارة ومهنية.

أمّا إذا كانت الإجابة بلا.

إذن لماذا يثق البعض في صورة أو سلوك لا يعبر عن الجوهر (ممكن الحقيقة)؟
ولماذا تُصدر الأحكام وتعمم على من لم يشترك فيما يشاهده الباحث؟
وعليه فالمشاهد لم يكن علة أو سبباً، بل السبب والعلّة هما الكامنان وراء ما
يشاهده، وهذه العلة تنقسم إلى جزأين:

1. علة صادقة.

2. علة كاذبة.

1- العلة الصادقة: هي التي تنعكس في السلوك، ويكون أصدق معبر عنها أي أن
السلوك في هذه الحالة مترجم حقيقي للجوهر من حيث كونه لم يكن متأثراً
بمتغيرات ذاتية أو خارجية، بل كان التصرف والسلوك حسب الموقف تصرفاً
وسلوفاً طبيعياً.

2- العلة الكاذبة: هي العلة الظاهرة التي لا تحمل المعنى الحقيقي للموضوع ولا
تشير إلى ما يدل عليه، مما يجعل السلوك الظاهر لا يعبر عن حقيقة الجوهر، بل
قد يعبر مما يُعبر عنه اتخاذ موقفاً من الباحث أو من الموضوع مما يجعل
المبحوث مُنصّلاً للسلوك المشاهد.

وعليه يكون واضحاً عدم الثقة في كل مشاهد أو ملاحظ. وبما أنه كذلك فإنه أصبح
من الصعب الاعتماد عليهما كأداتين في إصدار الأحكام مع إنهما هامان في
تجميع المعلومات، ومن هنا وجب تصحيح الخلط بين المشاهدة والملاحظة كأداتين
هامتين في تجميع البيانات أو أنهما مصدرا حكم.

أ- في حالة تجميع المعلومات:

تعتبر المشاهدة التي تعتمد على طريقة تحليل المضمون أداة مهمة من خلال
اعتمادها على حاسة البصر والرؤية الممكنة للباحث من الوقوف مباشرة من
مشاهدة السلوك.

والملاحظة مهمة جدا لأنها تُمكن الباحث هي الأخرى من التعرف على السلوك أو الفعل الملاحظ وتُمكنه فوق ذلك من استعمال أكثر لحاسة البصر، وذلك لأن الملاحظة تُستمد من المشاهدة وبقية الحواس مع سيادة العقل على رأسها، فبها يتم الاستنباط والاستقراء والاستنتاج، ولهذا تكون الملاحظة أكثر شمولاً من المشاهدة.

ب- في حالة إصدار الأحكام:

فإذا قبلنا بأن المشاهدة والملاحظة وسيلتين لإصدار الأحكام فإننا لغينا أهميتهما في تجميع المعلومات، وإذا تساءل البعض كيف؟
يجاب عليه بالأسئلة التالية:

إذا حكمت على فعل أو سلوك من أفعال أو سلوك الفرد أو الجماعة أو المجتمع فبماذا أيها الحاكم (الباحث) حكمت؟
هل لأنك نظرت أم لأنك سمعت؟
إذا كانت الإجابة بنعم لكليهما.

إذا اعترفنا بأن الوسيلة استعملت في إصدار الأحكام وليس في تجميع المعلومات والبيانات.

وإذا كانت الإجابة بلا.

إذا اعترفنا بأن الوسيلتين هما لجمع المعلومات والبيانات، وبما أن الإجابة كانت باستعمالهما في تجميع المعلومات والبيانات إذاً لا داعي للحكم، ولهذا فأمر حكم عن طريقهما لا يحكم به.

ويستنتج من الفقرتين (أ ، ب) أن هناك ازدواجية الاستعمال للمشاهدة والملاحظة في تجميع المعلومات وفي تحليلها أو تفسير نتائجها، ونحن نقول:

ينبغي عدم الزج بهما في أحكام مطلقة فالمعلومات التي تصدر الأحكام عليها استناداً على الملاحظة والمشاهدة هي معلومات تحتاج إلى تحليل علمي وموضوعي، ولهذا المعلومات تحلل ولا تفسر، فالذي يفسر هو النتائج.

وكما سبق أن وضّحنا لا يمكن التسليم بصحة كل ما يشاهد أو يلاحظ، ولهذا يُفضّل إبعادهما عن الحكم واعتبارهما وسيأتين مهمتين في تجميع المعلومات وملاحظة السلوك، فتجميع المعلومات عن طريق المشاهدة والملاحظة بُعد مادة أولية قابلة للتّحليل وليست قابلة للتفسير.

وعليه تُعتبر المقابلة في هذه الحالة اختبارية للمعلومات التي تمّ تجميعها أو الحصول عليها بأي وسيلة من وسائل جمع المعلومات، وإذا فبالمقابلة يمكن مساس الجوهر (المضمون) عن طريق الجدل والحوار والنفّاش الهانف والتّفيس الوجداني حول الموضوع وعلى مرتكزائه ووفقا للسلوك أو الفعل الذي تمت مشاهدته وملاحظته.

ولتوضيح ذلك نقول على سبيل المثال:

لو شاهد اثنان من المسلمين هلال شهر رمضان هل تُعتبر هذه المشاهدة حكما أم لا تُعتبر حكما؟

بالطبع تكون الإجابة بلا.

لأن مشاهدة الاثنين لم تكن حكما بل معلومة وهذه المعلومة قابلة للتّحقق منها وفق اشتراطات باعتبارهما مسلمين والمسألة تتعلّق بصوم شهر رمضان المبارك وذلك من حيث:

أ - هل هما مسلمان بالفعل؟

ب - هل هما عاقلان.

ت - هل هما في حالة صحو وفطنة ولم يكونا في حالة سُكر.

ث - ألا يكون من المهم أن تُجرى مقارنة لحديثهما من أجل إثبات المصادقية من عدمها.

ج - ولأجل أن تُطمئن القلوب إلا ينبغي أن يقسمَا على المصحف بأنهما عن حقّ شاهدا الهلال الذي يدل على بداية شهر رمضان لهذا العام.

بعد ذلك يصدر الحكم على مشاهديهما التي تؤكد رؤيتهما لهلال شهر رمضان من
عدمه. وكل ذلك لا يتم إلا عن طريق المقابلة التي من خلالها يتم اختبار أقوالهما
عما شاهدا لهلال شهر رمضان من عدمه.